الآفة الثالثة عشرة
عدم التثبت أو التبيّن

والآفة الثالثة عشرة التى لا يكاد يسلم من شرها إلا من كان ذا صلة قويّة متينة بربّه، وكان حصيفا، إنّما هى : « عدم التثبّت أو التبيّن » .

وحتى يتحرر من ابتلوا بها، ويتّقيها من عافاهم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ منها، فلابد من تقديم تصوّر دقيق عن أبعادها ومعالمها، وذلك من خلال الجوانب التالية:

أولا : مفهوم عدم التثبت أو التبيّن :

عدم التثبت لغة : وحتى نفهم المراد بعدم التثبت أو التبين فى اللغة، فإنّنا بحاجة إلى أن نفهم المراد بعدم التثبت أو التبين فى اللغة، فماذا يراد من كل منهما لغة ؟ يطلق التثبت فى اللغة على أمور، منها:

أ ـ طلب ما يكون به الثبات على الأمر، أى لزومه وعدم التحول عنه أو تجاوزه إلى غيره، وبعبارة أخرى :طلب الدليل الموصّل إلى الثبات على الأمر [١] .

ب ـ والتأكد من حقيقة ما يعين على الثبات فى الأمر، وبعبارة أخرى : فحص الدليل الموصل إلى الثبات فى الأمر، تقول: « أثبت الأمر: حققه، وصححه، وأثبت الكتاب : سجّله، وأثبت الحق: أقام حجّته، وأثبت الشىء : عرفه حقّ المعرفة »[٢] .

جـ ـ والتأنّى أو التريّث وعدم الاستعجال، « تقول: تثبت فى الأمر والرأى، واستثبت: تأنّى فيه ولم يعجل، واستثبت فى أمره: إذا شاور وفحص عنه » [٣] .

وكذلك التبين يطلق فى اللغة على نفس المعانى التى يطلق عليها التثبت، فهو:

أ ـ طلب ما يستبين به الأمر، وتنكشف حاله، تقول : « تبين الشىء : أى تأمله حتى اتضح » [٤] .

---

(١) انظر : المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٧٨ .

(٢) انظر: المعجم الوسيط ١ / ٩٣ .

(٣) انظر: لسان العرب ٢ / ١٩ .

(٤) انظر : المعجم الوسيط ١ / ٨٠ .

ب ـ وهو التأكد من حقيقة ما يستبين به الأمر وتنكشف حاله، تقول : «تبين الشيء: ظهر واتضح » (١) ، « واستبنت الشيء: إذا تأملته حتى تبيّن لك » (٢) .

جـ ـ وهو التأنى أو التريث فى الأمر، وعدم الاستعجال فيه، تقول: «تبيّن القوم الأمر: تدبّروه على مهل، غير متعجلين ليظهر لهم جليا » (٣) ، « وتبين فى أمره : تثبّت وتأنى » (٤) .

ويؤكد أن التثبت والتبين معناهما واحد لغة : استعمال القرآن الكريم، فقد جاء فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء: ٩٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات: ٦] ، أن أكثر الكوفيين يقرءون الآية الأولى، وكذلك عامّة أهل المدينة يقرءون الآية الثانية: « فتثبتوا » بدل: « فتبينوا » .

وفى هذا يقول الإمام ابن جرير الطبرى ـ رحمه الله : « والقول عندنا فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان، مستفيضتان فى قراءة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ؛ لأن المتثبت متبين، والمتبين متثبت، فبأى القراءتين قرأ القارئ، فمصيب صواب القراءة فى ذلك » (٥) .

كما يقول فى موضع آخر : « والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب » (٦) .

ونستطيع أن نقول: إن هذه الإطلاقات اللغوية الثلاثة لكل من التثبت أو التبين، يمكن أن تردّ إلى إطلاق واحد، ألا وهو التأنى أو التريث فى الأمر، وعدم الاستعجال فيه، فإن ذلك مطلوب فى الحكم على الشيء، وفى طلب دليله، بل وفى فحص وتأمّل هذا الدليل . وحيث انتهينا من تحديد المراد بالتثبت أو التبين لغة، فإننا نقول: إن عدم التثبت أو التبين لغة يعنى: السرعة فى الحكم على الشيء دون طلب دليله، ودون فحص وتأمل هذا الدليل .

عدم التثبت اصطلاحا : أما عدم التثبت أو التبيّن فى الاصطلاح الإسلامى والدعوى، فهو :

السرعة، أو عدم التأنى والتريث فى كل ما يمسّ المسلمين ـ بل الناس جميعا ـ من

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ١ / ٨٠ .
(٢) انظر : أخلاق القرآن للشرباصى ٣ / ١٥ .
(٣) انظر : أخلاق القرآن للشرباصى ٣ / ١٥ .
(٤) انظر: المعجم الوسيط ١ / ٨٠ .
(٥، ٦) انظر: جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ٥ / ١٤٢، ١٤٣، ٢٦ / ٧٨ .

أحكام أو تصورات، ومن تناقل وتداول لهذه الأحكام، وتلك التصورات،دون فهم دقيق للواقع، وما يحيط به من ظروف وملابسات (١) .

وإلى هذا أشار القرآن الكريم فى تعليقه على حادثة الإفك، حين قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [النور : ١٥] .

لأن من المعلوم بداهة أن التلقّى إنّما يكون بالأذن، ثم يعرض على العقل والقلب، وحينئذ يكون الكلام باللسان أو عدم الكلام، فإذا ما عبّر القرآن الكريم بأن التلقّى إنما كان باللسان، فإنما هى لفتة إلى السرعة، وعدم التأنى أو التروّى فى إصدار الحكم، بل فى تداوله والتحرّك به، كأنّ الإفك عندما وقع من ابن سلول صمّت الآذان، وسترت العقول، وغلّفت القلوب، فلم يبق إلا أن لاكته الألسن،وتحركت به الشفاه، دون فهم للواقع، ودون معرفة بالظروف والملابسات، ولقد صوّر صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ ذلك تصويرا بديعا حين قال:

« وهى صورة فيها الخفّة والاستهتار، وقلّة الحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُم ﴾ لسان يتلقّى عن لسان، بلا تدبّر ولا تروٍّ، ولا فحص ولا إنعام نظر، حتّى لكأن القول لا يمرّ على الآذان، ولا تتملاّه الرءوس، ولا تتدبّره القلوب ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ بأفواهكم لا بوعيكم،ولا بعقلكم، ولا بقلبكم، إنما هى كلمات تقذف بها الأفواه قبل أن تستقر فى المدارك، وقبل أن تتلقّاها العقول » (٢) .

ثانيا : أسباب عدم التثبت أو التبيّن :

وهناك أسباب أو بواعث تؤدى إلى عدم التثبّت أوالتبيّن، نذكر منها:

١ـ النشأة الأولى :

فقد ينشأ المرء بين أبوين سمتهما عدم التثبت أو التبين،وحينئذ يسرى ذلك إلى نفسه، فإذا به صورة منهما، وهنا يتجلّى دور التزام الآباء بأخلاق وآداب الإسلام . أجل، إن ذلك لو روعى لجنّب الآباء أبناءهم كثيرا من الانحرافات، دون الحاجة إلى خطب أو مواعظ .

---

(١)انظر: جامع البيان للطبرى ٥ / ١٣٩، ١٤٠، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٥/ ٣٤٨، ٣٤٩، وروح المعانى ٥ / ١١٨، ٢٦ / ١٤٥ بتصرف .

(٢)انظر : فى ظلال القرآن ٦/ ٨٠ .

٢ـ الصحبة العارية من هذا الخلق الإسلامى :

وقد يعيش المرء فى وسط غير ملتزم بهذا الخلق الإسلامى، فإذا به يحاكى، ويتأسّى لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية غير واثق من نفسه، ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتى دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامى. إنّ هذا لو وقع، لصَحَت الأعصاب، ولتنبّهت المشاعر والأحاسيس والجوارح .

٣ـ الغفلة أو النسيان :

وقد تؤدى الغفلة أوالنسيان بالإنسان إلى عدم التثبّت أو التبين، وحينئذ يجب أن يتعلم من ذلك درسا لا ينساه على مدار الزمان، فلا يتكرر منه هذا الخطأ، وصدق رسول اللهﷺ الذى يقول: « كل ابن ادم خطّاء، وخير الخطائين التوّابون » [١] .

٤ـ الاغترار ببريق الألفاظ :

وقد يقرع أذن المرء طائفة من الألفاظ المعسولة والعبارات الخلابة، وإذا به يغتر بما لهذه الألفاظ وتلك العبارات من بريق وزخرف، وحينئذ يكون منه عدم التثبت أو التبين.

وقد لفت النبىﷺ النظر إلى هذا السبب حين قال : « إنكم تختصمون إلىّ، ولعلّ بعضكم ألحن بحجّته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله، فإنّما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها » [٢] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب صفة القيامة : باب منه ٤ / ٥٦٨، ٥٦٩ (٢٤٩٩)، وابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد: باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ رقم (٤٢٥١)، والدارمى فى: السنن: كتاب الرقاق: باب فى التوبة ٢/٣٠٣، وأحمد فى: المسند ٣/١٩٨، كلّهم من حديث على بن مسعدة الباهلىّ، عن قتادة، عن أنس ﷺ مرفوعا به، وزاد أحمد فى روايته : « ولو أن لابن آدم واديين من مال، لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب »، وعقّب الترمذى على روايته قائلا : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن مسعدة عن قتادة » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب المظالم والغصب : باب إثم من خاصم فى باطل وهو يعلمه ٣ / ١٧١، ١٧٢، وكتاب الشهادات : باب من أقام البينة بعد اليمين ٣ / ٢٣٥، ٢٣٦، وكتاب الحيل: باب منه ٩ / ٣٢، وكتاب الأحكام : باب موعظة الإمام للخصوم، وباب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه، وباب القضاء فى كثير من المال وقليله ٩/ ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ومسلم فى : الصحيح: كتاب الأقضية : باب الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة ٣/ ١٣٣٧، ١٣٣٨ رقم (١٧١٣)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الأقضية: باب فى قضاء القاضى إذا أخطأ ٣ /٣٠١، ٣٠٢ رقم (٣٥٨٣، ٣٥٨٤)، والترمذى فى السنن: كتاب الأحكام : باب ما جاء فى التشديد على من يقضى له بشىء ليس له أن يأخذه ٣/ ٦٢٤ رقم (١٣٣٩) ، والنسائى فى : السنن : كتاب آداب القضاء : باب الحكم بالظاهر ، وباب ما يقطع القضاء ٨ /٢٣٣ ، ٢٤٧ رقم (٥٤٠١ ، ٥٤٢٢) ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأحكام : باب قضية الحاكم لا تحل حراما، ولا تحرّم حلالا ٢/ ٧٧٧ رقم (٢٣١٧، ٢٣١٨)، ومالك =

٥ـ الجهل بأساليب أو طرق التثبّت أو التبين :

وقد يحمل الجهل بأساليب أو طرق التثبت أوالتبين، إلى السرعة فى الحكم، وتداوله هنا وهناك، ذلك أن للتثبّت أو للتبين أساليب وطرقا كثيرة توصل إليه، من بينها:

* الردّ إلى اللّه والرسول، وذوى الرأى والحجا، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء : ٨٣] .

* السؤال أو المناقشة لصاحب الشأن، وخير ما يوضّح ذلك موقفه ﷺ من حاطب ابن أبى بلتعة، لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبى ﷺ لهم، وأطْلَعَ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ نبيّه على الكتاب، وجىء به إليه ﷺ إذ دعاه النبى ﷺ وسأله قبل أن يقضى فى أمره قائلا : « يا حاطب، ما هذا ؟ » فقال : يا رسول اللّه، لا تعجل علىّ، إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ـ يقول : كنت حليفا، ولم أكن من أنفسها ـ وكان معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتى، ولم أفعله ارتدادا عن دينى، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فعذره النبى ﷺ وقال : « أما إنه قد صدقكم »، ولما استأذن عمر فى ضرب عنقه قائلا : يا رسول اللّه، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، ردّ عليه ﷺ قائلا: « وما يدريك، لعل اللّه قد اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (١) .

= فى: الموطأ : كتاب الأقضية : باب الترغيب فى القضاء بالحق ص ٥٠٩ رقم (١٣٩٧)، وأحمد فى: المسند ٦/ ٢٠٣، ٢٩٠، ٣٠٨, ٢٩١، ٣٢٠، كلهم من حديث أم سلمة ﵂ مرفوعا، واللفظ للبخارى، وزاد ابن ماجه رواية أخرى من حديث أبى هريرة، وعقّب عليها البوصيرى فى : مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه ٣/ ٤٤ قائلا: « هذا إسناد صحيح، وله شاهد من حديث أم سلمة رواه الستة ورجاله رجال الصحيح »، وعقب الترمذى على حديثه قائلا : « حديث أم سلمة حديث حسن صحيح» .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الجهاد : باب الجاسوس، وقول اللّه تعالى: ﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ٤ / ٧٢، ٧٣، وكتاب المغازى : باب فضل من شهد بدرا ٥ / ٩٨، ٩٩، وباب غزوة الفتح ٥/ ١٨٤، ١٨٥، وكتاب التفسير : سورة الممتحنة: باب ﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ٦/ ١٨٥، ١٨٦، ومسلم فى: الصحيح: كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أهل بدر ﵃ ، وقصة حاطب بن أبى بلتعة ٤/ ١٩٤١، ١٩٤٢ رقم (٢٤٩٤)، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فى حكم الجاسوس إذا كان مسلما ٣ / ٤٧، ٤٨ رقم (٢٦٥٠)، والترمذى فى: السنن : كتاب التفسير : باب ومن سورة الممتحنة ٥ / ٣٨١، ٣٨٢ رقم (٣٣٠٥)، وأحمد فى: المسند ١ / ٧٩، ٨٠، ١٠٥، ٢ / ١٠٩، كلهم من حديث على بن أبى طالب ﵁ مرفوعا، واللفظ للبخارى، وزاد أحمد رواية أخرى بنحو من هذا من حديث ابن عمر ﵄ .

* الإصغاء الجيّد، بل والمراجعة إذا لزم أو أشكل الأمر، فهذا علىّ ﷺ يعطيه الرسول ﷺ الراية يوم خيبر، ثم يقول له : « اذهب فقاتل حتى يفتح اللّه عليك ولا تلتفت »، ويشعر علىّ ﷺ بعد مضيّه لأداء مهمته أن التكليف الذى كلّف به غير واضح فى ذهنه، فيعود بظهره امتثالا للأمر، ويسأل النبى ﷺ قائلا : علام أقاتل الناس ؟ فيرد عليه النبى ﷺ : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منّا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه »(١) .

* التجربة الملاحظة من خلال المعايشة والمصاحبة، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يثنى رجل على آخر فى مجلسه ، فيقول عمر للرجل الذى أثنى : « هل صحبته فى سفر قط ؟ » يقول : لا، فيقول له : « هل ائتمنته على أمانة قط؟ » يقول : لا، فيقول له: « هل كانت بينك وبينه معاملة فى حق ؟ » يقول : لا، فيقول له : « اسكت، فلا أرى لك علما به، أظنّك ـ واللّه ـ رأيته فى المسجد يخفض رأسه ويرفعه »(٢) .

* الجمع بين كلّ الأطراف مع المواجهة، لاسيما فى الأمور التى لا يجوز فيها التغاضى أو السكوت، فهذا رسول اللّه ﷺ يعلّم علياً لما بعثه قاضيا إلى أهل اليمن، أسلوب التثبت فى القضاء قائلا له: « إن اللّه سيهدى قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب دعاء النبى ﷺ إلى الإسلام والنبوة ٤/ ٥٧، ٥٨، وباب فضل من أسلم على يديه رجل ٤ / ٧٣، وكتاب أصحاب النبى ﷺ : باب من فضائل على بن أبى طالب ﷺ ٥ / ٢٢، ٢٣، وكتاب المغازى : باب غزوة خيبر ٥ / ١٧١، ومسلم فى: الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل على بن أبى طالب ﷺ ٤/ ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ رقم (٢٤٠٥ ـ ٢٤٠٧)، والترمذى فى: السنن : كتاب المناقب : باب مناقب على بن أبى طالب ﷺ ٥/ ٥٩٦ رقم (٣٧٢٤)، كلهم من حديث سهيل بن سعد مرفوعا بنحوه، وبمثله، وزاد مسلم روايتين؛ إحداهما من حديث أبى هريرة، والأخرى من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ .

(٢) الخبر أخرجه العقيلى فى: الضعفاء الكبير ٣ / ٤٥٤، ٤٥٥، والبيهقى فى: السنن الكبرى : كتاب آداب القاضى : باب من يرجع إليه فى السؤال يجب أن تكون معرفته باطنة متقادمة ١٠/ ١٢٥، ١٢٦من طريق داود بن رشيد، حدثنا الفضل بن زياد، حدثنا شيبان، عن الأعمش، عن سليمان بن مسهر، عن خرشة بن الحر، بلفظ : شهد رجل عند عمر بن الخطاب ﷺ ... الخبر، وأورده الألبانى فى: إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل: كتاب القضاء : باب طريق الحكم وصفته ٨ / ٢٦٠، ٢٦١، وعزاه إلى العقيلى، والبيهقى، ثم عقّب عليه قائلا: « وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رجال مسلم، غير الفضل ابن زياد ، فقال العقيلى : لا يعرف إلا بهذا وفيه نظر » ، ونقل عن الخطيب فى تاريخ بغداد ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ما يفيد عدالته وضبطه وحفظه، وأورده بهذا اللفظ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد فى تعليقه على توضيح الأفكار٢/ ١٨١من غير أن يعزوه لأحد.

بين يديك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء »[١] .

* السماع من صاحب الشأن أكثر من مرة، وعلى فترات متباعدة، مع المقابلة والموازنة، فها هى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يبلغها عن عبد الله بن عمرو، أنّه قادم من مصر للحج، فتقول لابن أختها عروة بن الزبير: يابن أختى، بلغنى أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج، فالقه، فسائله، فإنه قد حمل عن النبى ﷺ علما كثيرا، قال : فلقيته، فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ : قال عروة : فكان فيما ذكر: أن النبى ﷺ قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا، ولكن يقبض العلماء، فيرتفع العلم معهم، ويبقى فى الناس رؤساء جهالا، يفتونهم بغير علم، فيضلّون، ويُضلّون » .

قال عروة : فلما حدثت عائشة بذلك، أعظمت ذلك، وأنكرته قالت : أحدّثك أنه سمع النّبى ﷺ يقول هذا ؟ قال عروة: حتى إذا كان قابل، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم، فالقه، ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم، قال: فلقيته، فساءلته، فذكر لى نحو ما حدّثنى به فى مرّته الأولى، قال عروة : فلمّا أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص[٢] .

هذه الطرق أو الأساليب، وغيرها كثيرة، قد يجهلها كثير من الناس، وحينئذ يتناولون الأمر بغير تثبيت ولا تبيّن .

٦ـ الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة :

وقد يؤدى الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة إلى عدم التثبت أو التبيّن، ذلك أن هذا الحماس أو هذه العاطفة ما لم تكن موزونة بميزان الشرع، ومحكومة بلجام العقل، فإنها تسلب صاحبها الإدراك، وإذا به يخطئ كثيرا، ويضيع فى بيداء هذه الحياة .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب الأقضية: باب كيف القضاء ؟ ٣ / ٣٠١ رقم (٣٥٨٢)، وأحمد فى : المسند ١ / ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، من طريق شريك عن سماك عن حنش به، وأورده الألبانى فى: إرواء الغليل: كتاب القضاء ٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨، وعزاه إلى المصادر المذكورة وإلى غيرها، ثم عقّب عليه قائلا: « وجملة القول أن الحديث بمجموع الطرق حسن على أقل الأحوال، والله أعلم » .

(٢) الحديث بهذ اللفظ أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب العلم : باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ٤ / ٢٠٥٩ رقم (٢٦٧٣)، وأخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب ما يذكر من ذمّ الرأى، وتكلف القياس ٩/ ١٢٣ بنحوه.

ويمكن أن نستشف هذا السبب من حديث أسامة بن زيد التالى إذ يقول:

بعثنا رسول اللهﷺ إلى الحرقة فصبّحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف الأنصارى، فطعنته برمحى حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبىﷺ فقال: « يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله ؟ » قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (١).

أجل، لقد كان الحامل لأسامة على قتل الرجل مع نطقه بلا إله إلا الله، تلك التى تعصم الدم إلا بحقّها، إنما هو الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة، التى انطوى عليها قلب أسامة بن زيد رضي الله عنه بحيث حالت بينه وبين الاقتناع بما صدر عن الرجل، من الإسلام، والنطق بالشهادة، واتهمه بأنه يظهر خلاف ما يبطن، ناسيا أن الله وحده هو المطّلع على ما تكنّه القلوب، وتخفيه الصدور: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّه ﴾ [آل عمران: ٢٩]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) ﴾ [النمل]. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الاحزاب: ٥١]. ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) ﴾ [غافر].

٧ـ التعلق بعرض زائل من الدنيا :

وقد يكون التعلق بعرض زائل من أعراض هذه الحياة الدنيا، هو الحامل على عدم التثبّت أو التبيّن، وذلك أن حبّ الشيء يعمى ويصم، ويحول بين الإنسان وبين استطلاع الموقف وتبين الحقيقة.

ولعل هذا السبب هو المشار إليه فى قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ [النساء: ٩٤].

٨ ـ الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على عدم التثبّت أو التبيّن :

وأخيرا، قد تؤدى الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على عدم الالتزام بهذا الخلق

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب المغازى: باب بعث النبىﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ٥ / ١٨٣، وكتاب الديّات: باب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ ٩/ ٤، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله ١ / ٩٦ ـ ٩٨ رقم (٩٦، ٩٧)، وأبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب على ما يقاتل المشركون ٣/ ٤٤، ٤٥ رقم (٢٦٤٣)، وأحمد فى: المسند ٥ / ٢٠٠، كلهم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخارى.

الإسلامى إلى السرعة،أو العجلة فى الأمر، وعدم التريّث أو التأنى، فإنّ من غفل عن عاقبة أمر ما، وقع فيه لا محالة إلا من عصم اللّه ـ عز وجلّ .

ثالثا : مظاهر عدم التثبّت أو التبين :

ولعدم التثبّت أوالتبيّن مظاهر تدلّ عليه،وأمارات يعرف بها،نذكر منها:

١ـ معاداة كثير من الأفراد والهيئات العاملة للإسلام، استجابة لحملات التشويش والدعاية المغرضة،دون مخالطة هؤلاء،ومعرفة أحوالهم وأخلاقهم عن قرب ومشاهدة.

٢ـ التركيز على المظهر والشكل، مع إهمال المخبر والجوهر، فإن كثيرا من الهيئات العاملة للإسلام تهتم كثيرا بالمظهر والشكل من اللحية، والسواك وقصر الجلباب، وإرخاء العذبة وحمل العصا، والعمامة، مع الإهمال التام للمخبر والجوهر، الأمر الذى يجعلهم لا يميزون بين الصّالح والطالح، بين الصادق والكاذب .

ولا يُفهم ذلك أنه استهانة أو تحقير لتلك الأشياء، فقد وردت بذلك أحاديث تتفاوت صحة وضعفا وليس هنا مجال تحقيقها الآن، ولكننا نريد من المسلم أن يكون لديه ترتيب الأولويات، وتقدير لمخبر الإنسان وجوهره، وإن قصر فى بعض الشكليات فإن ذلك لا يضيره .

٣ـ عدم التماس المعاذير، وعدم السماع للحجج والآراء، بزعم أنه لا عقبات ولا صعوبات فى حياة الناس .

٤ـ المبادرة بالتفوه والرأى، لمجرد السماع والتلقّى، أو لمجرد الرؤية والمشاهدة.

٥ـ المبادرة بالتنفيذ لمجرد صدور التكليف، دون إحاطة تامة بكل ظروفه وملابساته، ودون معرفة دقيقة بمن له حق التكليف والإلزام .

رابعا : آثار عدم التثبّت أو التبيّن :

ولعدم التثبت أو التبين آثار سيئة، وعواقب وخيمة، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، ودونك طرفا من هذه الآثار :

أ ـ آثار عدم التثبت على العاملين :

فمن آثار عدم التثبت أو التبين على العاملين:

١ـ اتهام الأبرياء من الناس زورا وبهتانا :

فقد اتُّهمت أمّ المؤمنين عائشة زورا وبهتانا بما لم يقع منها فى الجاهلية، فكيف بعد إذ أعزّها اللّه بالإسلام، وصارت زوجة لإمام المسلمين وأفضل النبيين ورسول اللّه

للعالمين؟! الأمر الذى أقلقها، وأقلق أبويها، ورسول الله ﷺ زوجها، والمسلمين جميعا، شهرا كاملا، حتى نزلت البراءة من فوق سبع سموات .

وكان سبب هذا الاتهام هو عدم التثبت أو التبين، حتى قال الله لهم: ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) ﴾ [النور] .

وحسب العامل هذا الأثر، إذ هو مجلبة للشر والإثم ـ والعياذ بالله ـ كما قال النبى ﷺ : «خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبّة، الباغون للبرآء العيب » (١) .

٢ـ سفك الدماء ، وسلب الأموال :

فقد قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه أو غيره، نفرا من الناس، وسلب ماله بغير تثبت ولا تبين، وفيه وفى أمثاله نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾

[النساء : ٩٤]

٣ـ الحسرة والندم :

فإن بعض الصحابة الذين خاضوا فى الإفك، وطاروا به من غير تثبت ولا تبين، من أمثال حسّان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وغيرهما، وكذلك الذين قتلوا الرجل وأخذوا ماله بعد أن سلّم، وشهد أن لا إله إلا هو، من مثل أسامة بن زيد رضي الله عنه كلّ أولئك أصابتهم الحسرة، وعمّهم الندم، لما نزل الوحى من السماء، يكشف الموقف، ويضع النقاط على الحروف، وتمنّوا أن لم يكونوا أسلموا قبل ذلك اليوم، بل ظلت الحسرة والندامة شبحا مخيفا يلاحقهم، حتى لقوا ربهم. ولعل هذا الأثر هو ما يشير إليه قوله تعالى فى قصة الوليد بن عقبة بن أبى معيط مع بنى المصطلق، الواردة فى سورة الحجرات : ﴿ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد : فى المسند ٤ / ٢٢٧، من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن ابن غنم يبلغ به النبى ﷺ ٦/٤٥٩ من حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد، مرفوعا بلفظ : « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال: « الذين إذا رءوا ذكر الله تعالى »، ثم قال: « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشّاءون بالنميمة »، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد : كتاب الأدب، باب ما جاء فى الغيبة والنميمة ٨/ ٩٣، وعزاه إلى أحمد قائلا : « رواه أحمد ، وفيه شهر بن حوشب، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحمد أسانيده رجال الصحيح » .

٤ـ فقد ثقة الناس مع النفور والكراهية :

فمن عرف عنه العجلة فى الرأى، والحكم أو عدم التثبت أو التبين، ينظر إليه الناس على أنه أرعن أحمق، ومثل هذا يسحب الناس ثقتهم منه بل وينفرون منه، ويكرهونه بشدة ، وإذا ذهبت الثقة ، وكان النفور والكراهية ، لم يعد فى يد المسلم ما يكسب به الأنصار أو المؤيدين .

٥ـ التعرّض للغضب الإلهى :

فمن تجرّد من التثبت أو التبين، كثرت أخطاؤه وتضاعفت عثراته، ومن ثمّ يستوجب غضب اللّه وسخطه، ومن حل عليه غضب اللّه وسخطه، فقد ضاع دنيا وآخرة، وخسر خسرانا مبينا، وصدق اللّه : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه].

ب ـ آثار عدم التثبت على العمل الإسلامى :

ومن آثاره على العمل الإسلامى:

١ـ خلل أو اضطراب الصف :

فإن عدم التبين من شأنه أن يؤدى إلى خلل أو اضطراب فى الصف ، على نحو ما صوّره صاحب الظلال ـ رحمه اللّه ـ إذ يقول :

«كذلك إشاعة أمر الخوف فى معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة قد تحدث إشاعة الخوف فيه خلخلة وارتباكا،وحركات لا ضرورة لها، لاتّقاء مظانّ الخوف، وقد تكون كذلك القاضية » [(١)] .

وعلى نحو ما وقع بين الأنصار أوسهم وخزرجهم، حين استمعوا إلى هذا الدخيل الذى بثّه بينهم أحد اليهود فى ساعة الصفاء ، والحبّ فى اللّه، ليذكّرهم بيوم بعاث، وثاراتهم القديمة، لقد تنادوا قائلين:

السلاح السلاح موعدكم الظاهرة ـ أى الحرة ـ وخرجوا إليها، وانضمّت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية، ولولا رحمة الله ولطفه بهم، ثم خروج الرسول ﷺ إليهم، وتذكيرهم بنعمة اللّه عليهم، وهدايته لهم، بعد الكفر والضلالة، قائلا : « يا معشر المسلمين اللّه اللّه، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم اللّه إلى الإسلام،وأكرمكم به وقطع به

(١)انظر : فى ظلال القرآن ٢ / ٤٦٨ .

عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألّف بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ » [١] ، لولا ذلك لعادوا ـ كما كانوا فى الجاهلية ـ شيعا وأحزابا .

وعلى نحو ما وقع للحركة الإسلامية فى مصر فى الخمسينات، حيث استمع نفر من أبنائها لوشايات الواشين، وافتراءات المغرضين، وأراجيف المبطلين، دون تثبت أو تبين، الأمر الذى أدى إلى خلل فى الصفوف لبعض الوقت، وكاد يعصف بهذه الحركة، لولا لطف اللّه ورحمته، وعنايته وتثبيته لبعض الصادقين المخلصين من أبنائها.

٢ـ الفتور أو التراخى فى العمل :

فإن عدم الالتزام بالتثبت أو التبين من شأنه أن يؤدى إلى الفتور أو التراخى فى العمل مباشرة، أو بعد سلسلة من المكدّرات والمنغصات ، كما يصوره صاحب الظلال إذ يقول : « . . . فإن إشاعة أمر الأمن مثلا فى معسكر متأهب، مستيقظ، متوقع لحركة العدو، إشاعة أمر الأمن فى مثل هذا المعسكر، تحدث نوعا من التراخى، مهما تكن الأوامر باليقظة؛ لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر، وفى ذلك التراخى تكون القاضية » [٢] .

٣ـ إفساح المجال للأدعياء والدّخلاء :

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق الإسلامى، جعل أكثر الجمعيات والجماعات العاملة للإسلام ، مخترقا ، ومكشوفا من قِبَل الأدعياء ، والدخلاء ، وهذا فيه من الخطورة ما فيه، حسبنا أن هذه الجمعيات والجماعات، يُكادُ لها بواسطة هؤلاء الأدعياء والدخلاء، والمنشئون أو المؤسسون الحقيقيون لها، نائمون غافلون، لا يدرون من أمرها شيئا .

٤ـ خسارة بعض الأنصار والمؤيدين :

وقد يخسر العمل الإسلامى بسبب عدم التثبت أو التبين، بعض الأنصار والمؤيدين وربما انقلبوا رأس حربة على العمل الإسلامى، والعاملين لدين اللّه، بعد أن كانوا مرجوا منهم أنهم مساندون أو مؤيدون .

---

(١) القصة أوردها الحافظ ابن كثير فى: تفسير القرآن العظيم١/ ٣٩٨، وعزاها إلى ابن إسحاق وغيره، وأوردها كذلك السيوطى فى: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور٢ /٥٧، ٥٨، وعزاها إلى ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما عن زيد بن أسلم قال : مرّ شاس بن قيس . . . وساق القصة .

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ٢/ ٤٦٧، ٤٦٨ .

٥ـ الانطلاق من الخيال لا من الواقع :

فإن من كان من شأنهم عدم التثبت أو التبين سينقلون الأمور على غير وجهها، ويحكون الواقع بصورة غير صورته الحقيقية التى هوعليها، وعليه، فإذا كانت خطة أو منهاج أو رأى، فإنما يكون مصدره أو منبعه الخيال لا الواقع، وتلك أولى عوامل الفشل والخسران .

٦ـ الحرمان من العون والتأييد الإلهى :

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق ـ أعنى التثبت أو التبين ـ سيؤدى إلى دخن فى القلوب، وغلّ فى الصدور، فضلا عن باقى الآثار والسلبيات التى ذكرنا آنفا، وهذا بدوره يؤدى إلى الحرمان من العون والتأييد الإلهى، إذ أن عونه ـ سبحانه ـ وتوفيقه وهدايته لنا، ذلك كله مقرون باستقامتنا وثباتنا فى الطريق : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** (٧) ﴾ [محمد] . ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** (١٧١) **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ** (١٧٢) **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** (١٧٣) ﴾ [الصافات] .

خامسا : علاج عدم التثبّت أو التبيّن :

وما دمنا قد وقفنا على أبعاد ومعالم عدم التثبت أو التبين على النحو الذى قدمنا، فإن علينا أن نعرف سبيل العلاج، وتتلخص فى الأخذ بالوسائل التالية :

١ـ تقوية ملكة التقوى والمراقبة للّه ـ سبحانه وتعالى ـ فإن هذه إن تأكدت فى النفس، فسوف تحمل صاحبها حملا على التأنّى والتروّى، والإنصاف، ونقل الحقيقة كما هى دون زيادة أو نقص، بل ستكون سببا فى نور القلب، ونفاذ البصيرة، كما قال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [الأنفال: ٢٩] .

ولعلنا نلمح هذه الوسيلة العلاجية من قوله ﷺ : « التثبت من اللّه، والعجلة من الشيطان » [١] .

---

(١) الحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى : المسند ٧ / ٢٤٧، ٢٤٨ رقم (٤٢٥٦) من حديث ابن سنان عن أنس بن مالك مرفوعا به، والبيهقى فى: السنن: كتاب آداب القاضى: باب التثبت فى الحكم ١٠/ ١٠٤ من طريق عثمان بن سعيد ثنا أبو الوليد ثنا الليث بهذا الإسناد، وابن سنان هذا هو سعد بن سنان بن سعد الكندى المصرى وهو الصواب كما فى : تقريب التهذيب ١/ ٢٨٧ صدوق له أفراد، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الأدب: باب ما جاء فى الرفق ٨ /١٩، وقال : « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح »، هذا وللحديث شواهد أخرى ترتقى به إلى درجة الحسن، واللّه أعلم .

٢ـ التذكير بين يدى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ للمساءلة والجزاء : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤)﴾ [الصافات]. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [الحجر]. ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء] . ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) ﴾ [طه] .

فإن هذا إن تمكّن من النفس، وخالط القلب، فإنّه سيقود حتما إلى التأنّى أو التروّى .

٣ـ معايشة الكتاب والسنّة، من خلال هذه النصوص المتّصلة بقضية التثبت أو التبين، كما فى آيات « النساء » : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [الآية: ٨٣]، وآيات الإفك فى سورة « النور»، وآيات سورة « الحجرات »: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الآية : ٦] ، وآيات سورة « ص » : داود مع الخصمين: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) ﴾ ، وآيات سورة « النمل » : سليمان مع الهدهد، إذ قال له : ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ .

فإن هذه النصوص جميعا مدعاة إلى تربية ملكة التثبت أو التبين فى النفس .

٤ـ دوام النظر فى سير وأخبار السلف، فإنها طافحة بالنماذج الحية التى تجسّد هذا التثبت، وتجعله ماثلا أمامنا العيان، وحسبنا من هذه السّير، وتلك الأخبار :

قصّة عمر بن الخطّاب مع سعيد بن عامر الجمحى، واليه على حمص، إذ قدّر اللّه لعمر أن يزور هذه البلدة ويسأل أهلها : كيف وجدتم عاملكم ؟ فيشكونه له ، وكان يقال لأهل حمص : الكوفيّة الصغرى لشكايتهم عمالهم ﷺ، قائلين : نشكو أربعا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال:أعظم بهذا، وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل، قال : وعظيمة، وماذا لله ؟ قالوا : وله يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة، وماذا؟ قالوا: يغنط الغنطة بين الأيام ـ أى يغمى عليه، ويغيب عن حسّه، فلم يفصل عمر فى الأمر، إلا بعد أن جمع بينهم وبينه، ودعا ربّه قائلا : « اللهم لا تفيّل رأيى فيه »، وكان عمر حسن الظن به ، وبدأت المحاكمة ، فقال عمر لهم أمامه : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: ما تقول؟ قال: واللّه إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلى خادم، فأعجن عجينى، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم .

فقال: ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل، قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره : إنى جعلت النهار لهم، والليل للّه ـ عزّ وجلّ . قال: وما تشكون منه ؟ قالوا : إن له يوما فى الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال : ما تقول ؟ قال : ليس لى خادم يغسل ثيابى، ولا لى ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغط الغطة بين الأيام، قال: ما تقول: قال شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة، وقد بضعت قريش من لحمه، ثم حملوه على جذعة، فقالوا: أتحب أن محمدا مكانك ؟ فقال : واللّه ما أحبّ أنى فى أهلى وولدى وأن محمدا ﷺ شيك بشوكة، ثم نادى يا محمد، فما ذكرتُ ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال، وأنا مشرك لا أومن باللّه العظيم، إلا ظننت أن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ لا يغفر لى بذلك الذنب أبدا، فتصيبنى تلك الغطة . فقال عمر ـ بعد أن أظهر براءته أمامهم : الحمد للّه الذى لم يفيّل فراستى، وبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك، ففرّقها » [(١)].

وقصه الوزير أبى القاسم بن مسلمة، أحد وزراء بنى العباس، مع اليهود الخيابرة فى القرن الخامس الهجرى، إذ رفع إليه هؤلاء اليهود كتابا زاعمين أنه كتاب نبوى فيه إسقاط الجزية عنهم، فلم يبادر بالفصل فى المسألة دون تثبت أو تبيّن، وإنما ردّ الأمر إلى أهله، لقد دفع الكتاب إلى الحافظ الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ) شيخ علماء بغداد، ومؤرخها ومحدّثها فى عصره، فنظر فيه ثم قال: هذا كذب، فسأله الوزير : وما الدليل على كذبه ؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر فى سنة سبع من الهجرة، وإنّما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات قبل خيبر، عام الخندق سنة خمس، فأعجب الناس ذلك، وتوقف الوزير عن العمل بالكتاب [(٢)].

أرأيت لو أن هذا الوزير استعجل، ونفذ ما فى الكتاب من غير أن يردّ الأمر إلى أهله، فماذا تكون النتيجة؟ إن النتيجة هى تعطيل نص صريح من كتاب اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بغير دليل ولا برهان، إذ يقول الحق ـ سبحانه : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ**

---

(١) القصة أوردها الطنطاويان فى: أخبار عمر ١٦٢ ـ ١٦٤، عن حلية الأولياء لأبى نعيم، وتهذيب تاريخ دمشق لابن بدران .

(٢) الخبر أورده الحافظ ابن كثير فى: البداية والنهاية ١٢/ ١١٠، ١١١، مشيرا إلى أن ابن جرير هو الذى سبق الخطيب فى ذلك .

الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾.[التوبة] .

٥ـ التربية على ذلك من خلال الأحداث والوقائع، على نحو ما جاء فى: قصة أسامة بن زيد مع الجهنى فى سورة « النساء »،وعلى نحو ما جاء فى: حادثة الإفك فى سورة « النور »، وعلى نحو ما جاء فى قصة داود مع الخصمين فى سورة « ص »، وعلى نحو ما جاء فى قصة سليمان مع الهدهد فى سورة « النمل »، وعلى نحو ما جاء فى قصة الوليد بن عقبة مع بنى المصطلق فى سورة « الحجرات »، فإن هذا اللون من التربية يثبت فى النفس، ولا ينسى، نظرا لارتباطه بالحدث أو بالقصة .

٦ـ التذكير بقواعد ومعالم وطرق التثبت أو التبيّن،فإن الإنسان مجبول على النسيان وعلاج هذا النسيان دوام التذكير : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾ [الذاريات] . ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) ﴾ [الأعلى] .

٧ـ تقدير العواقب المترتّبة على ترك التثبت أو التبين فى الدنيا والآخرة، فإن هذا التقدير من شأنه أن يبعث الإنسان من داخله، ويحمله على التروّى أو التأنى أوالتريّث.

٨ ـ معايشة أو مخالطة من اشتهروا بخلق التثبت أو التبين، فإن هذا يفيد الإنسان كثيرا، ويدعوه إلى محاكاتهم،والنسج على منوالهم، لتقلّ العثرات، وتسلم الخطوات .

٩ـ الحكمة فى التعامل مع الناس ، فلا تخدعنا الظّواهروالأشكال والصّور ، ولا نبالغ فى البحث والتفتيش عن البواطن وخفايا الصدور، وإنّما ندع الواقع ليحدد لنا كيفيّة وأسلوب التعامل .

١٠ـ محاولة الإفادة من مناهج أهل الأرض بشأن هذا الخلق . . . أعنى التثبّت أو التبيّن . . . شريطة ألا يتعارض ذلك مع الإسلام، فإن لدى هؤلاء رصيدا لو أمكن استغلاله وتوجيهه التوجيه السليم لعاد على الإسلام، والمسلمين بالخير الكثير .

١١ـ أن يتصور المسلم نفسه فى موطن من يؤخذ بغير تثبت أو تبين، فإن ذلك يحمله على تعديل خطواته فى الطريق ؛ إذ ما لا يرضاه لنفسه، لا يرضاه لغيره .

١٢ـ التعويد على إحسان الظن بالمسلمين، إلا أن يقع منهم ما يوجب غير هذا: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور : ١٢] .